خطاب

ألقاه أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٦/١٠/٨م

في خيمة النساء بمناسبة الجلسة السنوية في كندا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين).

بقدر ما ينتشر العلم ويتثقف الناس وتظهر ابتكارات حديثة وتنتشر وسائل الإعلام يتعرف الناس من منطقة وبلد أكثر إلى منطقة أخرى وبلد آخر. فسكان البلاد البعيدة يطَّلعون خلال دقائق على حادث يقع في بلد ما. إن غالبية سكان البلاد النامية أو الأقلّ تقدما تستطيع أن تشاهد وتستمع إلى أسلوب العيش والمفضَّلات والكماليات في البلاد المتقدمة. فإذا كان ذلك مفيدا من ناحية فله مساوئ وأضرار أيضا من ناحية أخرى، حيث يظهر الاضطراب والقلاقل والشعور بالدونية في الأناس ذوي الدخل القليل، ويُعدّ الدين وتعاليمه عبئا. وبدأ القانون يحفَظ ويحمي الانحلال الديني والأخلاقي باسم الحرية. فالأمور التي بيَّن لنا تاريخ الأديان أنها تسببت في هلاك الأمم تعدّ سمة متميزة للمجتمع الحر الراقي وتعدّ من مزاياه. فالأولاد يعلِّمون أمورا لا تمتّ إلى الأولاد الصغار بصلة، بل بعضهم لا يستوعبون ما يقال لهم. وهذا ما صرح به بعض الأطفال. الدعارة تعدّ علامة التقدم والرقي، ويظهر عند كل خطوة إعلانُ الشيطان حيث كان قد قال لله ﷻ: بما أنك طردتَني من أعتابك وفضَّلت آدم عليَّ، فسوف أجلس في كل طريق له لأثيره ضد أحكامك وأُبعده عن الدين وإن غالبية الناس بمن فيهم الرجال والنساء سيتبعونني. فردَّ الله عز وجل عليه قائلا: انشغل في عملك سأُدخل أتباعك في جهنم ولأملأنَّها بهم، والملاحظ أنه ﷻ لم يقل: إني سوف أمنعهم من السقوط في حضنك قسرا.

فالشيطان مشغول في إبعاد الناس عن الدين باسم الحرية بواسطة التقدم الجديد الذي يظهر في العالم كل يوم، والإنسان يتعرض لهجماته كل يوم، وينسى اللهَ ﷻ ويغلبه بريق الدنيا. لكننا نلاحظ إلى جانب ذلك أنه كلما تغلبت الأهواء والتمنيات المادية في زمن، وبدأ الإنسان يسقط في حضن الشيطان بعث

الله ﷻ رسله وأنبياءه، فبذلوا قصارى جهودهم لإنقاذ الناس من الوقوع في حفرة من النار. فكلما ظهر الفساد في البر والبحر في العالم وبدأ صدور أعمال منافية لأوامر الله ﷻ في كل مكان فارتْ رحمة الله عز وجل وبعث الرسل والأنبياء. هذا هو تاريخ الدين ولقد رأى مشاهدَه كل قوم. هنا يبرز التساؤل هل قد قطع الله ﷻ الآن عاطفة رحمته وهل كانت رحمة الله ﷻ تخص الأقوام الماضية فقط، وهل قد استسلم الله ﷻ للشيطان والعياذ بالله قائلا: افعلْ ما تريد فقد خلقت الإنسان وعلَّمته التمييز بين الحسن والسيء لكنك الآن جعلتَني عاجزا فلا أقدر على فعل شيء؟! كلا، فلم يكن الله ﷻ محروما من صفاته وقدراته في الماضي قط ولن يُحرم منها في المستقبل أبدا. وصحيح أنه أعطى الإنسان حرية قائلا: لا أفرض عليكم أعمالا معينة إلا أنني سأظل أرشدكم لأنقذكم من السيئات. فالذين سيجتنبون السيئات ويُحرزون الحسنات فسوف أُكرمهم بنِعم الجنة. فهؤلاء سينالون الجنة في هذه الدنيا أيضا نتيجة ذكرهم إياه ﷻ والامتثال لأوامره، كما سوف يدخلون الجنة في الآخرة أيضا، أما الذين سيبتعدون عنه فسيجعلون مثواهم جهنم.

حين يلاحظ الله ﷻ الفساد في الدنيا ويرى أن الذين يُسمَّون دينيين هم أيضا تورَّطوا في الفساد باتخاذهم الدين وسيلة لإشباع الأهواء المادية- ونلاحظ أن كثيرا من المنظمات والعلماء في العصر الراهن مشغولون في هذا- ويرى ﷻ أن الماديين أيضًا قد فسدوا وانحطوا كثيرا، فتفور رحمته فيُظهر من جديد مشهد "يحيي الأرض بعد موتها" ويُنزل على سكانها ماءً يحيي الموتى الروحانيين. إذا كان التقدم العلمي والابتكارات الحديثة قد نوَّرت عقول الناس من ناحية فقد أماتتْهم من ناحية أخرى. حتى إن المسلمين أيضا قد ماتوا روحانيا نتيجة اتباعهم لعلماء السوء رغم فوزهم بالتعليم الكامل. لكن ذلك كان مقدَّرا، إذ كان النبي ﷺ قد أخبرَنا عن ذلك سلفا بتلقي العلم من الله ﷻ، إلا أنه إلى جانب ذلك قد بشَّرَنا أيضا بأنه سيَبعث الخادم البار للنبي ﷺ لإرشاد العالم في زمن الفساد والزوال الروحاني وازدياد الطموحات المادية ونسيان تعاليم الإسلام وسيكون وسيلة لإحياء الموتى.

فنحن سعداء إذ قد آمنّا بهذا الذي بعثه الله ﷻ مسيحا موعودا ومهديا معهودا وأعلنا بمبايعته أننا سنخيِّب كل هجمة شيطانية بنصْر من الله عز وجل، وسنظل نجتنب كل هجوم له سائلين الله ﷻ فضلَه. وسوف نؤْثر الدين على الدنيا. فمهما شكرتم الله ﷻ على ذلك قليلٌ. لكن النطق بكلمات الشكر باللسان فقط- أننا أحمديون ونحمد الله على ذلك ونشكره- لا يفي بالغرض بل الشكر يقتضي منا أن ندرك أهمية مسئولياتنا. وتقَع هذه المسئولية على السيدة والفتاة الأحمدية أكثر من غيرها، وذلك لأن من واجبها أن لا تحمي نفسها فقط من هجمات الشيطان بل من مسئوليتها أن تحمي منها أجيالها أيضا. فالمرأة هي التي تلِد الطفل وهي التي يتربى في حضنها وهي التي يمكن أن تربّيه تربية تمكِّنه من التمييز بين الحسن والسيء قبل أن يتأثر بالبيئة الخارجية. فالسيدة المسلمة الحقيقية تعلِّم ولدها معايير الأخلاق السامية التي ينبغي أن يتحلى بها بالإضافة إلى عبادة الله ﷻ. فالمرأة الأحمدية يمكن أن تعلِّم

طفلها وتلقي في أذنه من الطفولة ما هو الهدف من كونه مسلما أحمديا. وهذه التربية في المجتمع المعاصر الفاسد ليست أمرًا هينا، بل تشكّل تحديا كبيرا لكل سيدة أحمدية وتلقي مسئولية كبيرة على كل أمٍّ أحمدية. إن غالبية اللاتي يجلسن أمامي الآن قد أتين إلى هنا لأنهن كن محروماتٍ من الحرية الدينية في بلادهن. وبعضكن أتيتنّ لتحسين معيشتكن، وهناك من تعرَّضن لمظالم أخرى. فالذين أتَوا إلى هنا بسبب تعرُّضهم للاضطهاد الديني سواء كانوا رجالا أو نساء فلا يمكن أن يفكروا- وأنا أيضًا آمُل أنه لن يخطر ببالهم أبدًا- أن يُعطوا الدين مكانة ثانوية بعد انتقالهم إلى هذه البلاد المتقدمة. بل حتى أولئك الذين لم يأتوا إلى هنا لأسباب دينية من المستحيل أن يخطر ببالهم هم أيضًا إهمالُ الدين إلا ما ندر. أيْ أن أيّ أحمدي حقيقي سواء كان رجلا أو امرأة لن يؤْثر أمورًا أخرى على دينه عقَديا، أما عمليًا فإذا استعرضنا الأوضاع فسنرى أن عددًا كبيرًا من الأحمديين لا يمتثلون لأوامر الله ﷻ رغم قطْعهم العهد بإيثار الدين على الدنيا.

إذًا، إن لم تعمل السيدات بحسب هذا التعليم لن يعمل به أولادهن أيضا. الأمَّهات اللواتي يقدّمن نماذجهن السامية أمام الأولاد منذ صغرهم ويراقبن شئونهم بحكمة يشاركهنّ أولادهن في البيت في كل أمر خيرا كان أم شرا ويخبرونهنّ بكل صغيرة وكبيرة فتنصحهم الأمهاتُ بحكمة، وبالنتيجة لا يتأثر أولادهن من تأثير المجتمع الضار ويجتنبون في أيام شبابهم السيئات المنتشرة في المجتمع، ولكن الأمهات اللواتي لا يهتممن بأمور الأولاد منذ صغرهم ويزعمن أنهم ما زالوا في فترة اللعب والترفيه ولن يتأثروا بشيء في هذا العمر، أو يحسنَّ بهم الظن أكثر من اللازم أو يهملنهم أو يمارسن القسوة عليهم فإن هؤلاء الأولاد لا يخبرونهن بشيء، وعندما يبلغون ١٣ أو ١٤ من عمرهم يفضّلون البيئة خارج البيت، وتبدو لهم الدنيا مرغوب فيها أكثر من الدين.

لا أبرّئ الآباء من هذه المسئولية بل إنهم أيضا مسئولون دون أدنى شك. في بعض الأحيان يفسد الأولاد بالنظر إلى سلوك الآباء على الرغم من تربية الأمّهات. فمن واجب الآباء أن يدركوا هذا الأمر ويعلموا أن عليهم أن يؤدوا هذا الواجب ولكن الحقيقة أن الأولاد يقضون وقتا أطول مع الأمهات لذلك يوقع الإسلام مسئولية تربيتهم على الأمهات. وإن مسئولية تربيتهم ليس بأمر عادي كما قلت من قبل. والمعلوم أن الشيطان نصب شراكه في كل مكان في المجتمع المعاصر والفاسد ليجلب الناس إلى نفسه بإغرائهم بالتقدم الدنيوي. وعندما يرى الأطفال زملاءهم غير المسلمين يقومون ببعض التصرفات، وخاصة عندما يبلغون ١٢ أو ١٣ عاما تقريبا تنشأ القلاقل في أذهانهم. إذًا، إن عملية التربية التي تقوم بها المرأة – ويجب أن تقوم بها بكل جدية واهتمام- ليست أقل من الجهاد، لذلك عندما سألت النبيَّ ﷺ سيدةٌ ما مفاده: إننا لا نستطيع الخوض في الجهاد فهل ننال ثواب الجهاد على الاهتمام بشئون البيت وتربية الأولاد؟ فرد عليه ﷺ قائلا ما معناه: لا شك أن هذا العمل بمنزلة الجهاد وستُثابَين عليه ثواب الجهاد.

انظرنَ، ما أسمى مكانة تربية الأولاد وكيف وجَّه النبي ﷺ أنظار النساء إليها. المرأة هي التي تقوّي أسس القوم من خلال تربية الأولاد. الأقوام التي لا تنتبه إلى تربية الأولاد يصيبها الانحطاط سريعا. تُنشر في الجرائد تحليلات سنوية يقال فيها إن أعدادا كبيرة في البلاد المسيحية تبتعد عنها كل عام بل يتلاشى إيمانهم بالله تعالى. ولكن لماذا يحدث ذلك؟ إنما السبب هو أن جميع السيئات والأخلاق السيئة التي ذُكرت في الكتاب المقدس يتم تغيير هويتها في هذه الأيام حتى بدأ القساوسة يقولون بأن سيئة كذا وكذا لم تعُد سيئة الآن. ولأن الناس يرغبون بارتكابها لذا لا يستطيع القُسس مقاومتهم وبدأوا يغيرون في بلادهم قوانينَ الله تعالى باسم الحرية وباسم القانون الديمقراطي. لذا أصبحوا ينسون قِيم الدين وتعليمه وتخلوا عنه. والسبب في ذلك أن الأمهات في البلاد المتقدمة لم ينتبهن إلى تعليم أولادهن الأخلاقي والديني ولأن الأبوين كلاهما يقضيان وقتهما خارج البيت، فلم يعُد الجو العائلي والديني مهيأ للأولاد. وإن أكبر سبب لفساد المسلمين أيضا هو أن معظم السيدات المسلمات يجهلن تعليم الدين. الحق أنه كان من المقدر أن يحدث الفساد في الأديان السابقة لأن الله تعالى لم يرسل دينا ليبقى تعليمه قائما إلى الأبد غير الإسلام الذي أنزله ﷻ ليبقى قائما إلى يوم القيامة مع شريعته الكاملة. ثم أرسل في الزمن الفاسد الراهن المسيح الموعودَ عليه السلام الذي وجّه أنظار النساء والرجال إلى مسئولياتهم وقال بأنه لا بد لكم- لأداء حقوق مسئولياتكم- من أن تربّوا بناتكم تربية دينية بأسلوب حتى تُرسّخ أمّهات الأجيال القادمة في أذهانهن أن عليهن أن يقدّمن الدين على الدنيا في كل الأحوال. ويجب أن تربّوا أولادكم بأسلوب أن يعيش الذين سيصبحون آباء في المستقبل بحسب تعليم الدين الحق ويكونوا أسوة حسنة لأولادهم.

فعلى كل سيدة وفتاة أحمدية أن تدرك هذه المسئولية المهمة جدا حتى لا تكون الدنيا هي الأولوية عند أولادهن بل تكون الأولوية عندهم للدين. في هذه الأيام يحسب الناس أنفسهم مثقفين ولكن إيمانهم لم يبلغ مبلغا مطلوبا. إن معظم النساء يهتممن بشئون أولادهن من حيث التعليم الدنيوي والتربية الدنيوية ويقلقن عليهم كثيرا بهذا الشأن ولكن لا يقلقن بالقدر نفسه بشأن التعليم والتربية الدينية.

لقد روى سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه حادثا من زمن المسيح الموعود عليه السلام أن سيدة جاءت بابنها المريض إلى المسيح الموعود عليه السلام وكان الأطباء قد أعلنوا أنه لا علاج ناجعا له. فقالت السيدة: إنني مسلمة ووُلد ابني هذا مسلما ولكنه تنصر الآن متأثرا بالمسيحية. فأرجوك أن تعالجه. وإلى جانب ذلك قالت تلك السيدة الفقيرة وغير المثقفة بإلحاح شديد: أرجوك أن تجعله يقرأ كلمة الشهادة مرة، ولا أبالي إذا مات بعد ذلك. فأرسل المسيح الموعود عليه السلام الولدَ إلى الخليفة الأول رضي الله عنه ليعالجه ويبشّره أيضا بالإسلام. من المعلوم أنه لا يمكن إكراه أحد على الإسلام لذا قال عليه السلام للخليفة الأول أن يبلّغه الدعوة لعله يعود إلى الإسلام إذا فهم الموضوع. ولكن الولد ظل ثابتا على اعتقاده بالنصرانية وخرج من قاديان ذات ليلةٍ خفيةً تاركا العلاج لئلا يضطر إلى قراءة كلمة الشهادة. علمت أمّه بذلك في الليلة نفسها فذهبت وراءه

وأدركته قرب مدينة بطالة وأعادته إلى قاديان. لم تملك السيدة ثقافة دينية كافية ولكن بسبب ثقتها بالله تعالى وإيمانها القوي راحت تدعو الله تعالى. فأجاب الله تعالى دعاءها وأسلم ابنها مجددا ثم مات بعد ذلك بفترة وجيزة. فقالت أمّه: لقد أُثلج صدري إذ قرأ كلمة الشهادة قبل موته وفعل ذلك عن قناعة دون إكراه.

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ: هذه هي التربية الصحيحة وهذه هي الروح التي يريد الإسلام نفخها في النساء المسلمات. فالنساء اللواتي يردن أن يرينَ أولادهن ثابتين على مستوى أحسن من التربية فلا يحسِنّ بذلك إلى أنفسهن فقط بل يحسنّ دنياهن وأولادهن وعاقبتهن وعاقبة أولادهن وينفعن بذلك القومَ والجماعة أيضا. هناك كثير من الأولاد من الواقفين الجدد الذين يتربون حاليا في أحضان أمهاتهم لذا من واجب أمهاتهم أن يربّينهم تربية حسنة. وهناك كثير من هؤلاء الأولاد الذين كبروا وبدأوا بالوظائف، وبعضهم يقولون بأنهم لا يريدون الاستمرار في هذا المشروع "وقف نو"، فأقول: لو نالوا تربية دينية حسنة منذ البداية لما تولدت أفكار من هذا القبيل في الأطفال الذين نذرتْهم أمهاتهم بعد أن دعون الله تعالى كثيرا. إذًا، هناك حاجة ماسة لبذل سعي كبير في هذا المجال ولا يكفي الوعد فقط. المكانة التي يحوزها المرء في الدنيا والدين يكون لأمّه دخلٌ كبير فيها.

إن الأمّهات اللواتي لديهن تفكيرٌ دنيويٌّ أو الأمّهات العاديات يستطعن القول بأننا لو ظللنا منشغلات في تربية الأولاد فكيف يمكن لنا أن نحرز مقاما عاليا بدراستنا. قد حصلنا على شهادات ووثائق وأوسمة، فكيف نحصل على هذا المقام؟ ولكن الإسلام يقول حين تقمْن بتربية أولادكن وتعليمهم بعد إحرازكن التعليم الدنيوي وبعد تزويدكن أنفسكن بالتعليم الديني بأعلى مستواه، وحين يُري الولد خبرته المهنية ويبلغ مقاما عظيما، أو يصبح عالما أو محققا أو يصبح محاميا ويخدم الإنسانية، أو يصبح قائدا أو شخصيةً سياسية بارزة ويبذل جهوده لإرساء الأمن والسلام في الدنيا فتشترك في جزاء حسناته أمُّه أيضا. فالأمُّ المؤمنة تُنشئ جنةً لولدها في هذه الدنيا وفي الآخرة، فالتي أعطاها الله تعالى مقام إنشاء الجنة كم من أجور عظيمة يكون قد قدّر الله تعالى لها. إذًا، ليكُنْ تفكيرنا أن نسعى لنيل رضى الله تعالى في كل شيء، ولتكن دراستنا وعلمنا وسيلةً لنيل رضى الله تعالى. فهناك فرق شاسع بين تفكير الأمّ ذات التفكير الدنيوي والأمّ المؤمنة.

إن بعض البنات يفوتن عروض الزواج من شباب طيبين لمجرد أنهن يردْن تحصيل التعليم العالي. لا شك أن التعليم العالي شيء جيد، ولكنني قد رأيتُ بعض البنات الأحمديات المثقّفات اللواتي قد حصلن على الدكتوراه وبلغن درجات عالية، ولكنهن لم يرفضْن عروض الزواج وتزوّجْن ونشأ بينهن وبين أزواجهن تفهُّم وثقة متبادلة جيدة، وحين تجاوز أولادهن سِن الرعاية والتربية واصلْن دراستهن مجدّدا وهكذا حقّقن رغبتهن في اختصاصهن وتطوير خبرتهن المهنية. لا شك أن التعليم العالي شيء جيد جدا، ولكن الأفضل من ذلك هو إعداد فوج من الأطفال الأحمديين المتربّين تربية دينية ودنيوية الذين يصبحون

ضمانا لحماية أجيالهم القادمة من هجمات الشيطان في هذا الزمن الفاسد. على الأمهات أن يولّدْن في ذريتهن بنات يكنّ خير أمهات وخير زوجات وخير حمَوَات وخير أخوات الأزواج وخير زوجات الإخوة، كما يولّدن بنين يكونون خير أزواج وخير آباء وخير أحماء وخير أبناء. لو حدث ذلك لن تُظلَم أية بنت في بيت حميها. فالسبب الأكبر لهذا الظلم هو الجهل. ولو كان الأولاد متربّين تربية صحيحة لن تُظلم أية بنت في بيت حميها ولن تُحرم أية زوجة من حُبّ زوجها، ولن تشتكي حماةٌ من كنّتها، وهذه هي الحالة التي تجعل الدنيا جنة وتقضي على الشرور والفتن.

تحدث كثير من النزاعات العائلية لأن الحموات يَنْسَيْنَ زمنهن ويظلمْن كنّاتهن، والكنّات يبدأْن بفرض هيبتهن من أول يوم خشية أن تظلمهن حمواتهن، مع أنه يجب أن يفهم كل واحد منهما الآخر. وإن كانت هذه الأمثلة قليلةً جدا في الجماعة ولكنها بدأت تتزايد الآن، وذلك يدعو إلى القلق على أية حال. وهناك أمّهات طيبات وحموات طيبات وكنّات طيبات أيضا وهن يسكن براحة ومودة في بيوتهن بفضل الله تعالى، والحموات يعتبرن كنّاتهن مثل بناتهن، ولكن اللواتي يسبّبْن النزاع والخلاف يقمْن في بعض الأحيان بتصرفات تجعل المرء حيران لدرجة أنه يقول هل من الممكن أن تتصرف أم أحمدية هكذا؟ فإذا كان أحد يستطيع أن يُنشئ الجنة فهو الأمهات، وإذا كان أحد يستطيع أن يقضي على المفاسد والفتن فهو الأمهات أو النساء والبنات، وهذا ما يُتوقّع من مؤمنة حقيقية.

والأمر الثاني الذي أريد أن أقوله هو أيضا تسلسُل للأمر الأول وهو استمرار لتقديم الدين على الدنيا وهو استمرار التربية. أمر به الله تعالى المؤمنين والمؤمنات كما سمعتم آنفا في الآيات المتلوة التي تتضمن أحكاما عديدة، وإذا فكّر الإنسان فيها أمكن له أن يحسّن حالته. وتقول هذه الآية: {وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا} (الفرقان: ٧٤) أي يتأهب المؤمنُ دوما –رجلا كان أم امرأة– حين يسمع شيئا من أحكام الله تعالى للعمل به على الفور. فهذا هو المعيار الذي قرّره الله تعالى للمؤمن، وإلا ادّعاء مؤمن أو مؤمنة الإيمان ليس إلا مجرّد الادّعاء الذي لا حقيقة له.

قد جاءت في القرآن الكريم بعض الأحكام الخاصة بالنساء وهي لرفْع مكانة المرأة، فلا بد لكل امرأة أحمدية وبنت أحمدية أن تستعرض نفسها بهذا الخصوص. مثلا حكم الحجاب، فلم يأت به المسيح الموعود عليه السلام أو خلفاؤه بل هو الحكم الذي أمر به الله تعالى في القرآن الكريم وذكَرَه في مواضع مختلفة وبيَّن أهمّيته وحكمته بالتفصيل، بل بيَّنه مراعيا حالةَ الزمن الراهن أيضًا، لذا حين يتمُّ توجيه البنات إلى الالتزام بالحجاب فتقول بعضُهن ما هذا الكلام الرجعي القديم؟ بل أُخبرتُ في أحد البلاد أن بعض النساء اللواتي جئْن من باكستان يطلب منهن أولادهن ترْك الحجاب في هذه البلاد المتطوّرة. إن الرجال يشعرون بالدونية أكثر بهذا الخصوص فيقولون لهن إن الحجاب شيء خطير هنا، والشرطة تلقي القبض على المحجّبات، فالأمهات اللواتي كن ملتزمات بالحجاب طول حياتهن يتركنه خوفا من الشرطة.

إن الإسلام يريد أن يقيم شرف المرأة وعفّتها بواسطة الحجاب. وحين أوصاها بالحجاب في سورة النور فأمر الرجال أولا في آيتها الحادية والثلاثين بأن يغضوا من أبصارهم لإقامة حرمة المرأة وعصمتها، وبدل أن يحدقوا بالنساء حيثما رأوهنّ عليهم أن يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ. إن من عادة بعض الرجال مع علمهم أن المرأة متحجّبة وهي حَيِيَة فمع ذلك يسعون لتقع نظرتهم عليها بطريقة ما وإن لم يحدقوا. لذا يأمر الإسلام أن تتجنّبوا هذا النظرات وتحافظوا على أنفسكم، فأولا أمر الإسلامُ الرجالَ بالحفاظ على شرف المرأة وعفّتها، ثم في الآية التالية قال للنساء أيضا إنه من الضروري أن يغضضن من أبصارهن للاتقاء من كل نوع من الشر ويتمسّكْن بالحياء. قال النبي ﷺ الحياء من إيمان كل مؤمن ومؤمنة، فمن ليس فيه الحياء ليس فيه الإيمان بحسب قول الرسول ﷺ هذا.

ثم قال الله ﷻ في القرآن الكريم في الآية نفسها: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ويتضمن "ما ظهر منها" قامة المرأة وسمنها أو نحولها وغيرها. فحين أمر الله تعالى بالحجاب قال بارتداء الخمار والجلباب الذي يغطي الجسد. إن النساء اتّخذت البرقع فيما بعد لسهولتهن، وقد تطرقت إليها بدعات كثيرة في الفترة الأخيرة. تكون بعض أنواع البرقع بسيطة وبعضها يكون مطرَّزا كثيرا ومرصّعًا باللآلي المختلفة. وهذا يعني أن الحجاب الذي أُمر بارتدائه قد أصبح وسيلة لجلب الانتباه بسبب تطرّق الموضات المختلفة إليه. ولا يقتصر الأمر على ذلك فحسب بل إن بعض أنواع البرقع والمعاطف التي تُلبس في الظروف العادية أو في الطقس البارد تكون ضيقة لدرجة تُظهر الزينة التي أمر الله تعالى بإخفائها. فهذا ليس حجابا بل هذه موضة بأشكالها المختلفة التي تُستخدم في خياطة البرقع. ثم هناك بعض السيدات اللواتي يلبسن البرقع ولكن يتركن الأزرار الأمامية مفتوحة. هذه الموضة سائدة في باكستان بكثرة، وتلبس النساء تحت البرقع بنطالا ضيقا قصيرا بحيث تكون السيقان مكشوفة ويلبسن فوق البنطال قميصا قصيرا. فكل هذه الأشياء سخرية بالحجاب بل سخرية بأمر الله تعالى في الحقيقة؟ ثم الوشاح أو الحجاب أو النقاب الذي يلبسنه لا يستر الشعر ولا الوجه بصورة صحيحة. فتعترض أحيانا بعض المسلمات الجديدات أن الأحمديات القديمات لا يحتجبن كما يجب بحيث لا يسترن الشعر. لقد أمر الله تعالى أن تلبس المرأة خمارا بأسلوب يستر الوجهَ. إن أبسط حجاب بيّنه المسيح الموعود عليه السلام هو أن يكون الجبين والشعر مستورا في مقدمة الرأس ومؤخرته، وأن يكون الذقن والخدود مستورة، ولكن بشرط ألا تضع المرأة في هذه الحالة أي مكياج، أي إذا أرادت أن يكون وجهها مشكوفا فيجب أن يكون دون مكياج. وفي هذه الحالة يزول أيضا اعتراض اللواتي يقلن بأننا لو غطينا الأنف لاحتقن نَفَسُنا. وهناك فئة أخرى من السيدات اللواتي يلبسن الحجاب ويغطين رأسهن جيدا بالوشاح ولكن إلى جانب ذلك يلبسن قميصا وبنطالا ضيقا. وهناك بعض الموضات التي تتراءى في باكستان في هذه الأيام، ولا بد أن تكون قد راجت هنا أيضا، وهي أن شقوقا طويلة تُجعل في السراويل والبنطلونات قرب السيقان فتنكشف السيقان عند المشي. تصِلني الشكاوى من هذا النوع بكثرة إذ يكتب الناس إليّ مع

أنني لم أرها بنفسي. من الواضح أنه لا يأتي أحد أمامي بهذه الصورة بل يكتب الناس إلي أمورا مثلها. فهذا كله لغو ويجب على الفتيات والسيدات الأحمديات اجتنابه. إن ارتداء البنطال ليس ممنوعا ولا بأس في ارتدائه ولكن يجب أن يُلبَس معه قميص يصل إلى الركبتين على الأقل. صحيح أن الله تعالى لم يأمر بالحجاب أمام المحارم مثل الزوج والأب وأب الزوج، والأخ وابن الأخ وابن الأخت، ولكنه تعالى أمر بارتداء لباس محتشم حتما. الحياء ليس بشيء بسيط بل هو أثمن ثروة للمرأة. تحضر أحيانا سيدات غربيات وغير مسلمات محافلنا مع علمهن أن لمحافلنا قداسة فيأتين مرتديات لباسا كاملا، بالإضافة إلى وشاح لا يلبسنه خارج محافلنا. ولكن هذا لا يسمى موقفا مزدوجا منهن لأنهن يلبسن هذا اللباس بسبب مراعاتهن واهتمامهن بتقاليدنا وبيئتنا لينخرطن فيها. فما دام غير المسلمات اللواتي لسن بمأمورات بارتداء الحجاب يهتممن به إلى هذا الحد فلا بد لبناتنا ونسائنا أيضا أن يهتممن به جيدا. لا أدري لماذا تشعر بعض الفتيات الأحمديات بشعور الدونية إذ يشعرن أنهن لو لبسنَ الحجاب سوف يحسبهن الناس جاهلات. فلتحكم هؤلاء الفتيات هل يردن أن يرضين الله تعالى أم يردن إرضاء الناس. يمكن للمرأة غير الأحمدية أن تقول بأنها ليست مطلعة على أحكام القرآن إذ لم تقرأ القرآن جيدا ولم تطّلع على أحكامه بالتفصيل ولكن لا يمكن للفتاة أو السيدة الأحمدية أن تقول ذلك إذ تُشرح لهن هذه الأحكام باستمرار وبالتفصيل، وقد شرح لهن الخلفاء كلُّهم، وأنا أيضا أفهِّم منذ مدة، ومنظمة لجنة إماء الله أيضا بحاجة إلى الاهتمام بهذا الجانب، كما أن كل سيدة وفتاة أيضا يجب أن تفحص نفسها. ذلك لأن اتباع الموضات واللامبالاة سوف تعرِّيهن نهائيا تدريجا. إذا كان الآن بضعة من هذا القبيل فليفحصن أنفسهن. أما اللاتي لسن هكذا فلا داعي لنشوء أي شعور بالدونية فديننا أمثل دين وجاء لينتشر في العالم. وانتشارُه يقتضي من كل رجل وامرأة العملَ به. وعندما ستخلعن الحجاب تكنّ غير مباليات بالتربية الدينية للأولاد أيضا، إذ عندما سينظر الأولاد أن تصرفاتِ أمهن تعارض أوامرَ القرآن الكريم فالواضح أنهم سيتأثرون سلبيا. فإذا كان يجب على كل امرأة وفتاة أن تتقوى اعتقادًا وتزداد إيمانا ففي الوقت نفسه يجب عليها أن تتقوى عمليا أيضا. علينا أن نبذل الجهود الحثيثة لخلق الشعور عند السيدات والفتيات في هذا المجتمع بأهمية الحجاب والستر والحياء. إذا كانت أي فتاة تخجل من ارتداء الحجاب المحتشم فعلى الأمهات أن يسعين لإزالة هذا الخجل بل عليها أن تزيله بنفسها إذا كانت في مثل هذا السن. الأمهات إذا لم يولدن الإحساس بالحياء في البنات عند بلوغهن السنة الحادية عشرة أو الثانية عشرة من العمر فلن يتولد لديهن عندما يكبرن. ففي هذا المجتمع الذي تدرَّس فيه كل عورة وفاحشة في المدرسة يجب على الأمهات الأحمديات أن يهتممن بتربية أولادهن في ضوء تعليم الإسلام والقرآن الكريم أكثر من ذي قبل، ويخلقن أهمية الحياء في أولادهن منذ الصغر، أي عند بلوغ الطفل الخامسة أو السادسة من العمر.

ففي هذه البلاد حيث يعلَّم الأولاد من الصف الرابع والخامس في المدارس أمورًا تولد اضطرابًا في الأولاد، ثمة حاجة لخلق الحياء في أذهان البنات من السن نفسه كما قلت سابقا. قد يخطر ببال بعض النساء

والبنات أن للإسلام أوامر أخرى أيضا، هل يقتصر انتصار الإسلام على العمل بهذا الحكم وحده؟ فليتذكرن أنه ليس أي أمر صغيرا، لقد لفتُّ انتباهكم في الجمعة يوم أمس انطلاقا من كلام المسيح الموعود عليه السلام إلى أي مستويات يجب أن نرتقي. لكن إذا تفاقم أي عيب وقصور تأثُّرًا بالمجتمع فهو يحتاج إلى التنبيه أكثر، ولذا ألفتُ انتباهكن. إذا كانت وجهة الآخرين مختلفةً فلتكنْ، أما الأحمدي فوِجهته أن يستبق الخيرات، وهذا ما علَّمَناه القرآن في قوله ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾. نحن نريد أن تتبعنا الدنيا، فلا تنظرن إلى موضة العالم، وانظرن هل هي ضمن حدود أقامها الله ﷻ أم لا. فاختيار موضة ما ليس ممنوعا، عليكن أن تنظرن هل هي ضمن الحدود أم لا، ثم إذا كانت في المحيط الذي سُمح بها فيه فلا بأس بها. ثم سجِّلن نماذج في ذلك حتى يتبعكن العالم.

إذا كانت السيدة الأحمدية بحاجة إلى توطيد علاقتها بالله ﷻ لكي تتمكن من تربية أولادها تربية رائعة مستعينة بالله ﷻ فهي في الوقت نفسه بحاجة إلى أن تجعل كل عمل لها تابعا لأوامر الله ﷻ كلِّها. وفَّق الله تعالى الجميع لذلك. تعالين ندعُ معا.